جامعة إفريقيا العالمية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز البحوث و الدراسات الإفريقية

المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية

تحت رعاية:
النائب الأول لرئيس الجمهورية

تحت شعار:

(تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم)

٢٩ - ٣٠ صفر ١٤٣٤هـ، الموافق: ١١ - ١٢ يناير ٢٠١٣م

الخرطوم – السودان

اللجنة العلمية

(الكتاب الثالث)

صفر ١٤٣٤هـ- يناير ٢٠١٣م

أعضاء اللجنة العلمية

١ـ د. حسن علي الشايقي رئيسا.
٢ـ د. إدريس علي الطيب عضوا.
٣ـ د. حسنات عوض ساتي عضوا.
٤ـ د. المرتضى الزين أحمد عضوا.
٥ـ د. محمود حمودة صالح عضوا.
٦ـ د. أمين محمد سعيد عضوا.
٧ـ أ. محمد نور عبد الله عضوا.
٨ـ أ. حسن أبوالقاسم أحمد عضوا.
٩ـ أ. المكاوي الخضر عضوا.

الإخراج الفني:

١ـ أ. طارق عبد الله عثمان مصطفى.
٢ـ أ. عبد الناصر علي بن علي الفكي.
٣ـ أ. أمير عبد الله الصافي.
٤ـ أ. عمر فتح العليم محمد.
٥ـ أ. السماني علي أحمد محمد

شارك في التدقيق اللغوي:

١ـ د. عبد الرافع حمد الأمين.
٢ـ أ. حسن سيد أحمد الناطق.
٣ـ أ. تاج السر بشير صالح.

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١.	أعضاء اللجنة العلمية	ب
٢.	المحتويات	ج
٣.	مقدمة الكتاب	د
٤.	تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد	هـ
٥.	صفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه دليل محبته (د. سيدي يعقوب بكاري - بنين)	١
٦.	محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه دليل محبته (أ. دفع الله حسب الرسول - السودان)	٢٧
٧.	هدي السنة النبوية في تقرير واجبات الحاكم المالية وحقوقه (د. فيروز عثمان صالح - السودان)	٤٣
٨.	حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم ضرورات الحفظ والتلقي وآفاق العروج والترقي (د. عبد الله محمد الطيب - المملكة العربية السعودية)	٨٥
٩.	مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة مع واقعها ومكانتها بعد الإسلام (د. مريم إبراهيم أبو كشوه - المملكة العربية السعودية)	١١٧
١٠.	مساهمة الصحابيات من الأنصار في الدعوة ورواية الحديث النبوي الشريف (أ.م.د. نايف محمد شبيب - العراق)	١٤٣
١١.	مساهمة المرأة الصحابية في العمل الخيري (العمل الطبي نموذجاً) (د. إسماعيل غازي مرحبا- لبنان)	١٦٣
١٢.	المرأة والهجرة (د. رقية بنت محمد المحارب - المملكة العربية السعودية)	١٩٧
١٣.	الهدي النبوي في الحوار: خصائصه وأساليبه (أ.د. عثمان علي حسن - المملكة العربية السعودية)	٢٤٣
١٤.	نبي السلام محمد صلى الله عليه وسلم وإرساء قواعد السلام العالمي (د. بن داود براهيم- الجزائر)	٢٦٧

مقدمة الكتاب:

تستمد بحوث هذا المجلد وأوراقه أهميتها من أهمية السيرة النبوية الشريفة التي جاءت بالهدي القويم في كل مجالات الحياة، والشكر واجب لأصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا ببحوثهم إسهاماً مقدراً، وناقشوا العديد من الموضوعات الحيوية والعلمية المهمة من خلال السيرة النبوية الشريفة، واستخلصوا من رواياتها وأخبارها النتائج والدروس والعبر التي نأمل أن تسهم في تنمية المجتمع والارتقاء به ثقافياً واجتماعياً وروحياً.

يحوي هذا الكتاب عشرة بحوث، شملت المحاور السبعة للمؤتمر وهي: (الرسالة والنبوة)، (محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أساس الإيمان)، (فقه السيرة وتنزيل الأحكام في الواقع)، (هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع المرأة مقارنةً مع أوضاع المرأة في الغرب اليوم)، (هديه صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع غير المسلمين)، (موقف الغرب من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، (جهود المسلمين في العصر الحاضر في خدمة السيرة النبوية).

وبذا تمثل هذه البحوث فهرساً لمكتبة شاملة للسيرة النبوية وتنزيلها على مقاصد الشرع، وقد وجدت هذه المحاور استجابة واسعة وكبيرة من الباحثينب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغيره، مما يؤكد تعلق المسلمين بالسيرة النبوية وتجاوبهم معها وتأكيداً لمحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والله من وراء القصد ،،،

اللجنة العلمية للمؤتمر

تقديم الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

حب الرسول صلى الله عليه وسلم، كامن ومستحكم في القلوب، وهذا المؤتمر سعي مبارك لتفعيل هذا الحب وتوظيفه وتنزيله في خدمة مقاصد الدين. وحب الرسول صلى الله عليه وسلم طاقة متحركة في نفوس أبناء الأمة، انظر كيف يحرك الحب المشاعر والأفئدة ويجعلها في الحج تسير عشرات الأميال ذهاباً وإياباً دون كلل أو ملل وفيهم الكهل والصغير والمريض.

وانظر إلي المسابح وهى تسبح بحمد الله والصلاة على رسوله في شهادة دائمة على رفع الذكر، وكيف لا يرتفع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدره وارتبط اسمه باسم المولى عز وجل في الشهادة التى لا شهادة بعدها ولا شهادة بقدرها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وما أحسن خدمة السيرة والحديث والمنهج النبوي بالتبيان والتوضيح والتنزيل في خدمة مقاصد الشريعة. واستخراج كنوز السيرة في أدب العهود والإختلاف والاتفاق وكل مقاصد الحياة. إن محبة الرسول صلي الله عليه وسلم لا تكتمل إلا بالفهم والاستيعاب والهضم وإعادة انتاجها كمنهاج حياة ومرجعية ومعالم طريق. إن الخروج من حالة الإفلاس والانفلات والتيه والحيرة التى تمر بها البشرية لا يتم إلا بمعرفة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تتم معرفة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بإقتفاء أثره وعرض هذا الأثر في إطار تجارب الحداثة والمعاصرة. والحداثة والمعاصرة دون محمد صلى الله عليه وسلم حُجُبٌ ومتاع دنيا زائل ولكن المعاصرة والحداثة في إطار المرجعية المحمدية كما أوضحتها السيرة تجعل للحياة معنى وطعماً وغاية وهدىً.

ودراسة السيرة باعتبارها مبين ومكمل للوحى هو مطلب إنسان ما بعد الحداثة والثورة العلمية والمعلوماتية ويحتاج إنسان ما بعد الحداثة إلى أن نقدم له السيرة والحديث وحياة الرسول الكريم في قالب عصري وعقلي وبمختلف الألسن واللغات وهذا مقصد كبير لا يستوعبه مؤتمر أو جماعة ولكن مساهمة المؤتمر أو الجماعة أمر مبارك وسعى قاصد

وفي إطار هذا السعى القاصد تجيئ هذه الكلمات ونرجو أن يكون هذا المؤتمر فاتحة خير في مشروع تعميق المحبة وتنزيل مقاصد الدين.

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد

مدير جامعة إفريقيا العالميةَ

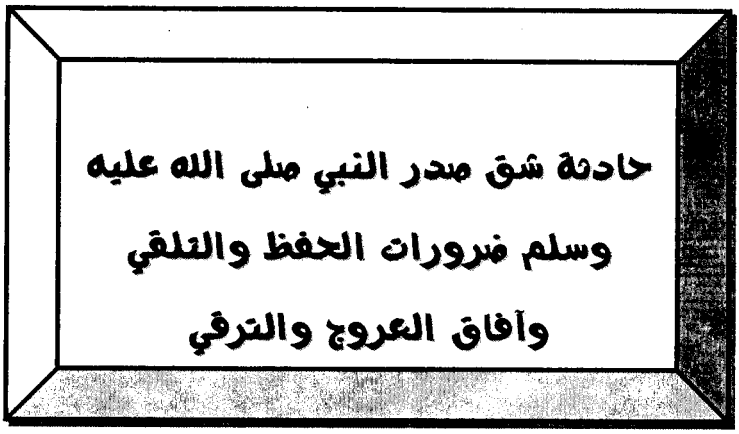

(المحور الثالث: فقه السيرة وتنزيل الأحكام في الواقع)

إعـــداد

د. عبد الله محمد الطيب

خبير تربوي: مدارس المجد - المملكة العربية السعودية

حادثة شق صدر النبي (ضرورات الحفظ والتلقي وآفاق العروج والترقي)

د. عبد الله محمد الطيب(*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الصادق الأمين وبعد:

يجد المتأمل لكتاب الله تعالى عنايته بالقلب عناية لا يكاد يدانيه فيها أي عضو من أعضاء الجسم الأخرى من حيث ورود ذكره حيث ذكر مئة وواحد وثلاثون مرة من بين واحد وسبعين عضواً ذكرت في القرآن(١)، ومن حيث ما أنيط به من مهام ،فقد أنيطت به:

[١] مهام معرفية: مثل تلقي القرآن قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}(٢)، والتذكر {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ}(٣)، والعقل قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}(٤)، والتدبر {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(٥)، والفهم {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}(٦).

(*) خبير تربوي، مدارس المجد، الرياض، السعودية.

(١) مجلة الإعجاز العلمي العدد٤١ شعبان ١٤٣٣ ص ٦، بتصرف.

(٢) سورة الشعراء الآيات: ١٩٣-١٩٤.

(٣) سور ق الآية: ٣٧.

(٤) سورة الحج الآية: ٤٦.

(٥) سورة محمد الآية: ٢٤.

(٦) سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

[٢] مهام مشاعرية: مثل الخوف، قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}(١)، والرحمة {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً}(٢)، والقسوة {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ}(٣)، واللين {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}(٤).

[٣] مهام روحية: مثل التقوى {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}(٥)، والهداية {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}(٦)، والزيغ قال تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}(٧).

وهذا يدلل على مكانة القلب وضرورة العناية به فهو ملك الأعضاء ومحل العلم و الإيمان قال تعالى: {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}(٨)، و مكمن وساوس الشيطان قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ}(٩).

فالله الذي خلق القلب أعلم بما يصلحه فهو أعلم بما خلق، قال تعالى ممتناً على نبيه صلى الله عليه مسلم: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}(١٠)، لذلك جاءت رعايته لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ولقلبه خاصة فكانت حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة لينقيه ويطهره من وساوس الشيطان وحظوظ الدنيا ويهيئه لتقبل الوحي وملاقاة الملأ الأعلى ويجعل همته في الله عالية و ليدل من يتبع الرسول أن يعتني بقلبه عناية شديدة ويحرص على سلامته من الشرك ووساوس الشيطان وحب

(١) سورة الحج الآية: ٣٥.
(٢) سورة الحديد الآية: ٢٧.
(٣) سورة البقرة الآية: ٧٤.
(٤) سورة الزمر الآية: ٢٣.
(٥) سورة الحج الآية: ٣٢.
(٦) سورة التغابن الآية: ١١.
(٧) سورة آل عمران الآية: ٨.
(٨) سورة النحل الآية: ١٠٦.
(٩) سورة الناس الآيات: ١-٦.
(١٠) سورة النحل الآية: ١٠٦.

الدنيا والركون إليها ويعمره بالعمل الصالح ومراقبة الله تعالى و يتعاهده بالذكر والتفكر لصقله مما يرين عليه وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه. وهو الران الذي ذكره الله: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[1]، رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2]، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا في طاعتك)[3]، يقول الدكتور طه عبد الرحمن: ومن ثم يتوجب علينا – نحن المسلمين – أن نجتهد في تعريف غيرنا ممن لم يعلموا بواقعة شق الصدر بحصولها وفي بيان كيف أن الإنسان المنتظر يحتاج إلى التزود بالأخلاق التي تنتج عنها، ذلك أن عالم المستقبل سوف يشهد حدثين مهمين: أحدهما، انهيار النظريات الأخلاقية والأنساق المعيارية والدساتير السلوكية الكبرى التي كانت إلى حد الآن توجه الحداثة الغربية، فيتسبب ذلك في فراغ أخلاقي، لا يحتمل، والثاني، ازدياد الهروب إلى الحياة الخاصة باعتبارها الفضاء المتميز لممارسة الحرية الفردية فتنشأ عن ذلك الحاجة إلى أخلاق تأتي من داخل، هذا الفضاء الخاص، لا من خارجه فحينذاك لا يكون بين يدي الإنسان في هذا الزمن البعيد لمواجهة هذا الفراغ الأخلاقي ولتلبية هذه الحاجة إلى إنشاء أخلاق خاصة إلا أخلاق شق الصدر، فهي التي تكون بحق ثمرة تجديد للأصل العميق الذي ينبني عليه هذا الفضاء الخاص، والذي هو القلب وفي تجديده حتماً ميلاد لعقل جديد، وهو ما يتطلع إليه العالم الآتي عن قريب[4][5].

---

(١) جامع الترمذي حديث رقم٣٣٣٤.

(٢) رواه البخاري (٥٢) و (٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٥٤ ص ١٦٢٤ طبعة دار ابن حزم الرياض.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ١٢.

(٥) سؤال في الأخلاق: طه عبد الرحمن ص ١٦٣ – ١٦٤.

فهل هذه الحادثة واقعة حقيقية أم لا؟ وكم مرة حدثت؟ وما الحكمة من وقوعها؟ وكيف حصلت؟

لذلك أحببت أن أفرد هذه الحادثة، لتعلقها بهذه المضغة المهمة التي علق الله بها الصلاح والفلاح، بهذا البحث خاصة وأن هذا الشق من الرب وبهذه العناية الفائقة من تنزل الملائكة وآنية الذهب، والأثر الذي تركته وتكررها يدل على أهميتها ورغم ذلك لم تصدر فيها الدراسات المنفصلة حيث ترد في ثنايا السير، أو عند الحديث عن الإسراء والمعراج فأردت جمع ما تناثر منها في بحث واحد فهذه محاولة على عجل لعلها تفتح الباب وتنير الطريق وجعلته في ثلاثة مباحث تناولت فيها جمع الأحاديث الواردة في الحادثة، وجمعت من تعليقات علماء التخريج ما سمح به الوقت والمراجع وكذلك جمعت شذرات مما يستفاد ويستنبط من هذه الأحاديث، وبعض الردود على الشبهات الواردة على الحادثة من المستشرقين وغيرهم وبذلت في كل ذلك وسعي، والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول

ضرورات الحفظ و التلقي

المطلب الأول: التحقيق العلمي لحادثة شق الصدر الأولى:

[١] روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: أن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[1]. وروى هذا الحديث الإمام أحمد في المسند من طريق عفان عن حماد وفيها وربما قال حماد (إن رسول الله أتاه آت) دون أن يحدد جبريل وهذه الطريق

(١) صحيح مسلم الجزء الأول كتاب الإيمان (٢٦١) طبعة دار ابن حزم ص ١٣١.

الثالثة عن يزيد بن هارون عن حماد في المسند برقم (١٢٢٢١) وفيها (ولقد كنا نرى أثر المخيط في صدره) بصيغة الجمع وطريق أخرى برقم (١٢٥٠٦) حدثنا حسن(١) حدثنا حماد(٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم (٣).

[٢] و جاء في سيرة ابن هشام قال ابن إسحاق وحدثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي: أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت ني أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبة زنه بعشرة من أمته، فوزنه بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بمئة من أمته، فوزنته بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتم فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها(٤).

[٣] قال ابن إسحاق: وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أو عمن حدثه عنه قال: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله التي أرضعته تحدث: وساق خبرها وفيه: فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته

---

(١) حسن هو ابن موسي

(٢) حماد هو ابن سلمة

(٣) مسند أحمد ج١٩، ص ٤٨٩.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام طبعة دار إحياء التراث الإسلامي، ص٢٠٢-٢٠٣.

معنا. قالت: فرجعنا به فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه. قال: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. قالت فرجعنا به إلى خبائنا[1].

[٤] قال الإمام أحمد في المسند: حدثني حيوة ويزيد بن عبد ربه، قالا: حدثنا بقية، حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمي، عن عتبة بن عبد السلمي، أنه حدثهم، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال:" كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند ألبهم، فأقبل طائران أبيضان، كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهذا هو؟ الحديث" فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين. فقال أحدهما لصاحبه (قال يزيد في حديثه): ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.. الحديث"[2].

[٥] وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء في المختارة من طريق معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب أن أبا هريرة قال يا رسول الله ما أول ما ابتديت به من أمر النبوة قال إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذاني فلصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي فقال

(١) السيرة النبوية لابن هشام طبعة دار إحياء التراث الإسلامي، ص١٩٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣، ص٤٦٠.

احدهما لصاحبه أفلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال أشقق قلبه فشق قلبي فقال أخرج الغل والحسد منه فأخرج منه شبه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرأفة والرحمة في قلبه فأدخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر إبهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير. قال أبو نعيم تفرد به معاذ عن آبائه وتفرد بذكر السن إسناده ضعيف محمد بن معاذ بن محمد بن أبي مجهول وكذالك أبوه معاذ[1].

[٦] وأخرج الدارمي والبزار وأبو نعيم وابن عساكر عن عروة بن الزبير عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال أتاني آت وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم هو هو قال فزنه برجل فوزنني فرجحته قال زنه بعشرة فوزنني فرجحتهم قال زنه بمائة فوزنني فرجحتهم قال زنه بألف فوزنني فرجحتهم ثم جعلوا يتساقطون علي من كفة الميزان ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الأمر معاينة[2]. صححه الألباني وقال: له شواهد[3].

[٧] وأخرج أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: أتاني ملك بطست من ذهب فشق بطني فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليها ذرورًا ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع فيه عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان

(١) مسند الإمام أحمد ج٣٥، ص١٨٢ بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني١٦٧، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٣، ص٤٦٠.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٣٣١٤.

وأنت محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم أنت قثم[١]. وهو حديث حسن بشواهده.

[٨] وأخرج الدرامي وابن عساكر عن ابن غنم قال أنزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق بطنه ثم قال جبرائيل قلب وكيع فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفى حاشر خلقك قيم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة[٢].

المطلب الثاني: دراسة الأسانيد:

رويت هذه الحادثة بعدة روايات عن عدد من الصحابة بروايات صحيحة مثل حديث أنس عن أبي ذر ومالك بن صعصعة إلا أنها وردت في روايات أخرى ضعيفة السند ولكن يقوي بعضها بعضاً:

[١] حديث حماد عن ثابت عن أنس في مسلم و المسند وهو صحيح الإسناد.

[٢] قال الألباني: أخرجه ابن إسحاق (١/١٧٥)، وعنه الحاكم (٢/٦٠٠)، وقال: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا، وله شواهد خرجت بعضها في سلسلة (الأحاديث الصحيحة) (١٥٤٦)، وصححه ابن حبان (٢٠٩٣)[٣].

[٣] حديث حليمة السعدية عند ابن هشام، وعند ابن حبان برقم (٦٣٣٥).

[٤] حديث عتبة بن عبد في مسند الإمام أحمد، قال الألباني: قلت وزجاله ثقات، غير أن بقية بن الوليد مدلس، وقد عنعنه، لكنه قد صرح بالتحديث في رواية الحاكم (٢/٦١٦-٦١٧)، وقال: (صحيح على شرط مسلم)! ووافقه الذهبي! وإنما هو صحيح فقط؛ فإن من رواته بحير بن سعد، ولم يرو له مسلم، وانظر الصحيحة (٣٧٣)[٤].

[٥] حديث محمد بن كعب بن أبي بن كعب عنه وإسناده ضعيف لجهالة محمد وأبيه.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٨٤)، والدارمي في «سننه» (١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٦٧٣)، من حديث عتبة بن عبد- رضى الله عنه.

(٢) سنن الدارمي ٥٣ و تاريخ دمشق، ج٣ ص٤٧٩.

(٣) صحيح السيرة النبوية، ص ١٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

[٦] حديث أبي ذر عند الدرامي، وابن عساكر صححه الألباني بشواهده سلسلة[١].

[٧] حديث يونس بن ميسرة عند أبي نعيم وهو حديث حسن.

[٨] حديث ابن غنم عند الدرامي وابن عساكر حديث حسن بشواهده.

فكما رأينا من خلال عرض الأحاديث السابقة روى هذه الحادثة عدد من الصحابة كأبي ذر في المسند وأنس بن مالك في صحيح البخاري و مسلم وأبي بن كعب في المسند ومالك بن صعصعة في صحيح مسلم وغيرهم وما صح منها هو حديث أنس بن مالك في صحيح مسلم والبخاري وعن أبي ذر في صحيح مسلم و سنن النسائي وعن مالك بن صعصعة في صحيح مسلم وحليمة السعدية ويونس بن ميسرة وهي تؤكد وقوع هذه الحادثة حقيقة لا مجازاً و لا مناماً بدليل أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم والذي بقي في صدره مثل الشراك ويراه أنس أو يريهم إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر: وجميع ما ورد في شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك..[٢].

المطلب الثالث: زمن وقوع الحادثة الأولى وعدد مرات وقوعها:

قال الشيخ صفي الدين المباركفوري في كتاب الرحيق المختوم: (وهكذا بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني سعد حتى إذا جاءت السنة الرابعة أو الخامسة من مولده وقع حادث شق الصدر وساق حديث مسلم المتقدم عن أنس بن مالك وقال في الحاشية - في تحديد عمره - هذا ما ذهب إليه عامة أهل السير ويقتضي سياق ابن إسحاق أنه وقع في السنة الثالثة)[٣].

أما تحديد العمر بعشر سنين فلم يرد بطريق صحيح، والراجح أنه بين الرابعة والخامسة لأنها التي يرعى فيها الغلمان في الغالب.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٣/٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ص.

(٣) الرحيق المختوم للشيخ صفي الين المباركفوري، ص٥٥.

عدد مرات وقوع الحادثة:

[١] قال ابن دحية في معراجه وابن المنير وغيرهما: الصحيح أن شق الصدر مرتان. وقولهم: شق الصدر وغسل القلب إنما كان في حال صغره. قيل: شق صدره مرتين مرة في حال الصغر ليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء في الانشراح، ومرة عند الإسراء به ليصير حاله مثل حال الملائكة لأنه يراد به العروج إلى مقام المناجاة[١].

[٢] قال شيخ الإسلام ابن حجر: بل ثلاث مرات، فقد ثبت أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ولكل حكمة[٢]. فالأول كان في زمن الطفولة، لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير:

ثم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل، لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ويحتمل أن تكون الحكمة من انفرج سقف بيته، الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره. وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها.

[٣] قال البيهقي يحتمل إن شق الصدر كان مرات: مرة عند مرضعته حليمة، ومرة عند المبعث، ومرة ليلة المعراج. قلت (أي السيوطي) قد تقدم في الرضاع شق صدره من عدة طرق وسيأتي في أحاديث الإسراء ذلك أيضا والتحقيق في الجمع بينها الحمل على التعدد ممن صرح بوقوعه مرتين السهيلي وابن دحية وابن المنير وممن صرح بالثلاث ابن حجر[٣]. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط - رحمه الله - في تحقيق مسند الإمام أحمد: هذا ويترجح لدينا بعد دراسة هذه الأحاديث أن الذي صح في هذه الحادثة أنها وقعت له - صلى الله عليه وسلم - مرتين: الأولى: وهو صغير

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني.

(٢) الإسراء والمعراج للسيوطي، ص٤٠.

(٣) الخصائص الكبرى للسيوطي، ص ١١٠.

عند ظئره في بني سعد كما في رواية أنس هنا والثانية: في ليلة الإسراء والمعراج كما في رواية أنس عن أبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي بن كعب[1].

المطلب الرابع: الدروس والعبر:

[١] الحفظ الإلهي: نرى من هذه الروايات حفظ الله لنبيه من حظ الشيطان في قلبه، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التعوذ من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه كما جاء في افتتاحه الصلاة في قيام الليل، وكذلك حفظ الله نبيه من الشرك وعبادة الأصنام قال ابن حجر: (ولكل منها حكمة. فالأول وقع فيه من الزيادة كماعند مسلم من حديث أنس: "فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك" وكان هذا في زمن الطفولة فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان)[2]، و قال الدكتور طه عبد الرحمن: لقد أجريت للإنسان النموذجي عملية شق الصدر لاستخراج علقة سوداء بقلبه وهو في صباه كما لو أنه خلق بها، وتولى إجراء هذه العملية رسول خاص جاء من عالم الميثاق الأول يستفاد من هذا أن كل قلب يحمل بالخلقة في جوفه علقة سوء لا بد لصاحبه من عملية جراحية في غاية الدقة والمهارة لكي يتمكن من تطهير قلبه منها[3]، قال ابن عاشور: وفي حديث شق الصدر: أنّ جبريل لمّا استخرج العلقة قال: هذا حظُ الشيطان منك، يعني مركز تصرّفاته، فيكون الشيطان لا يتوصّل إلى شيء يقع في نفس نبيّنا (صلى الله عليه وسلم) إلاّ بواسطة تدبير شيء يشغل النبي حتّى ينسى مثل ما ورد في حديث (الموطأ) حين نام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووكّل بلالاً بأن يكلأ لهم الفجر، فنام بلال حتّى طلعت الشمس، فإنّ النبي قال: (إنّ الشيطان أتى بلالاً فلم يزل يُهَدّئُه كما يُهَدّأ الصبيّ حتّى نام). فأمّا نوم النبي والمسلمين عدا بلالاً فكان نوماً معتاداً ليس من عمل الشيطان. وإلى هذا الوجه أشار عياض في (الشفاء). وقريب منه ما ورد أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(١) مسند الإمام أحمد، ج٣٥، ص١٨٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص.

(٣) سؤال الأخلاق دكتور طه عبد الرحمن، ص١٦١.

رأى ليلة القدر، فخرج ليُعلم الناس فتَلاحَى رجلان فرُفعت. فإنّ التلاحي من عمل الشيطان، ولم يكن يستطيع رفع ليلة القدر بنفسه فوسوس بالتلاحي. والحاصل أنّ الرّسول (صلى الله عليه وسلم) معصوم من الوسوسة[1]. وإعداده إعدادًا معصومًا من نزغ الشيطان ونفثه، وحفظ باطنه صحيحًا، وقد تجلى هذا في حادثة شق الصدر الأولى والثانية[2]. قال ابن كثير في تفسير سورة الشرح: المراد بقوله: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وقد قيل المراد بالشرح في الآية ما يرجع إلى المعرفة والطاعة. ثم ذكروا في ذلك وجوها منها أنه لما بعث إلى الأحمر والأسود من جني وإنسي أخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم، وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات، فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البؤس والفرج منشرح الصدر مشتغل بأداء ما كلف. فإن قلت: لم قال: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ولم يقل: قلبك. أجيب: بأن محل الوسوسة الصدر، كما قال تعالى: يُوَسْوِسُ فِي صُدُور النَّاس فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب. وقد قال محمد بن على الترمذي: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصد الشيطان، يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب فإذا دخل مسلكا أغار فيه وأنزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ، ولا يجد للطاعة لذة، ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية.وهاهنا دقيقة: «قال الله تعالى حكاية عن موسى: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وقال لنبينا محمد- صلى الله عليه وسلم: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) أعطي بلا سؤال[3]. قال ابن كثير في فائدة ذكر الذهب: لكونه أعلى أنواع الأواني الحسية وأصفاها، ولأن فيه خواص ليست لغيره ويظهر لها مناسبات: منها أنه من أواني الجنة ومنها أنه لا تأكله النار والتراب ولا يلحقه الصدأ، ومنها أنه

(١) التحرير والتنوير، ج٧، ص٢٩١.

(٢) إقامة الحجة على العالمين، ص٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٨، ص٣٨٠٤.

أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي وقال السهيلي وغيره: إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهابه الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نظر إلى وضاءته ونقائه وصفائه ولثقله ورسوبيته والوحي ثقيل قال الله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}(١)، {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٢). ولأنه أعز الأشياء في الدنيا، والقول هو الكتاب العزيز(٣).

[٢] التخلية قبل التحلية: في هذا الشق و إخراج العلقة منه وهي حظ الشيطان كما قال الملك تهيئة لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - لتلقي القرآن والقيام بأعباء الدعوة وهي مهمة صعبة قال تعالى: (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) فلا بد من تخلية قلبه من كل ما يمنعه من التلقي وتحليته بالقرآن وفاضل الخصال. قال ابن حجر: وهذا الذي ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له، ولا يصرف عنه حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك.

قلت: (أي السيوطي) والأمر كذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره الشريف، وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلب الحقائق الممتنع، فهو جهل صريح، وخطأ قبيح، نشأ من خذلان الله تعالى لهم، وعكوفهم على العلوم الفلسفية وعدم إحاطتهم بالقدرة الربانية، وبعدهم عن دقائق السنة، عافانا الله من ذلك.

قال ابن المنير: وشق الصدر له صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه، بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض وهذه حقيقة، وأيضا فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد عن أهله عليه الصلاة والسلام، وقد اختلف هل كان شق الصدر وغسله مخصوصًا به أو وقع لغيره من الأنبياء.و الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه

(١) سورة المزمل الآية: ٥.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٨.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ج٧، ص٢٥٧.

سيلتئم بلا معالجة. و الحكمة في اختصاص الطست أنه أشهر آلات الغسل عرفا. و الذهب لأنه أغلى أنواع الأواني وأصفاها، ولأن فيه خواص ليست في غيره منها أنه من أواني الجنة، وأنه لا تأكله النار ولا التراب ولا يصدأ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي. وقال السهيلي وابن دحية: إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه وإن نظر إلى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه ولثقله والوحي ثقيل وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال الدنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلتق بأمور الآخرة[1].

ويتضح لنا من جميع ما ذكر أن الله تعالى حفظ نبيه صغيراً، وأكرمه، وجعل قلبه صافياً من الشوائب الخِلقية، محلىً بالفضائل الخُلقية فلقب في الجاهلية بالصادق و الأمين فأكرم بها من ألقاب وكانت حتى الحجارة تسلم عليه ثم جمله بالوحي وتنزل الملائكة عليه فكان رحمة مهداة.

المبحث الثاني

آفاق العروج والترقي

المطلب الأول: التحقيق العلمي للحادثة الثانية:

[١] روى الإمام مسلم: حدثني حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل - صلى الله عليه وسلم - ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه. ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء)[2] الحديث.

[٢] وروى مسلم: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك (لعله قال عن مالك بن صعصعة (رجل من قومه) قال: قال نبي

---

(١) الإسراء والمعراج للسيوطي صـ ٤٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٦٣ طبعة دار ابن حزم، ص٢٣٢.

الله - صلى الله عليه وسلم - (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق ني فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا (قال قتادة فقلت للذي معي: ما يعني؟ قال: أوسطهم: لبطنه) فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيماناً وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال: محمد - صلى الله عليه وسلم - قيل: وقد بعث إليه، قال: نعم. قال: ففتح لنا. وقال: مرحباً به ولنعم المجيء جاء....)[1].

[٣] رواية البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثني سليمان، عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة: إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب، محشواً إيماناً وحكمة فحشي به صدره ولغاديده، يعني عروق حلقه، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ...)[2].

[٤] قال البخاري:حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:" فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه. ثم أخذ بيدي فعرج

(١) المرجع السابق حديث رقم ٢٦٤، ص١٣٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد (٧٥١٧/٣٧)، ص٢٣٤٥، ج/٤ طبعة مكتبة العبيكان الطبعة الأولى.

بي إلى السماء، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال: جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد. فقال: أأرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا برجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. حتى عرج بنا إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح[1].

[٥] وقال أحمد في مسنده:حدثنا عفان، حدثنا همام، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة حدثه، أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال: "بينما أنا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر مضجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه: الأوسط من الثلاثة قال: فأتى: فقد (وسمعت قتادة يقول: فشق) ما بين هذه إلى هذه. (وقال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغره إلى نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصيته إلى شعرته). قال: فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض (قال: فقال الجارود: وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم) يضع خطوه عند أقصى طرفه. قال: فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل؟ من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، فقيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء. قال: ففتح فلما خلصت فإذا آدم عليه السلام قال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل: من هذا، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح

(١) المرجع السابق.

فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما قال: فسلمت، فردا السلام، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. الحديث[1].

[٦] وقال البيهقي:حدثنا أبو سعيد الماليني، حدثنا ابن عدي، حدثنا محمد بن الحسن السكوني، حدثنا علي بن سهل، حدثنا حجاج، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي، أو غيره، عن أبي هريرة، قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ميكائيل، فقال جبريل لميكائيل: ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه، واشرح له صدره، قال: فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات، واختلف إليه ميكائيل بثلاثة طساس من ماء زمزم، فشرح صدره، ونزع ما إن فيه من غل، وملأه حلما وعلما، وإيمانا ويقينا وسلاما، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة[2].

المطلب الثاني: دراسة الأسانيد.

[١] الحديث الأول والثاني: في صحيح مسلم بسند صحيح.

[٢] الحديث الثالث: في البخاري وفيه (قبل أن يوحى إليه) قال الشيخ الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: قوله: ((قبل أن يوحى إليه)) هذه الجملة مما أنكره العلماء على شريك، وخَطَّؤُوه فيها، منهم الخطابي، وابن حزم، والقاضي عياض، والنووي. وخرجها ابن كثير على أن المجيء مرتين، الأولى: قبل أن يوحى إليه، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء، والثانية وهي التي حصل فيها شق الصدر، ثم الإسراء، والعروج إلى السماء وعبارته: (وفي سياق حديث شريك غرابة من وجوه، منها قوله: (قبل أن يوحى إليه) والجواب: أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه، فكانت تلك الليلة، ولم يكن فيها شيء، ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى،ولم يقل في ذلك (قبل أن يوحى إليه)، بل جاءوا بعد ما أوحى إليه، فكان الإسراء قطعاً بعد الإيحاء، إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو عشر سنين، كما زعمه آخرون، وهو الأظهر). قال الحافظ: وصرح الخطابي، وابن حزم والقاضي عياض، والنووي، بأن شريكاً انفرد بهذه اللفظة، وفي دعوى التفرد نظر، فقد وافقه كثير بن

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٨-٢١٠.

(٢) الحديث ورد في: دلائل النبوة: ٢/١٤٣، الطبري في تفسيره: ١٥/٦.

خنيس، عن أنس، أخرجه سعيد بن يحيى الأموي، في كتاب المغازي من طريقه. ثم قال: قوله: (فلم يرهم) أي: بعد ذلك، (حتى أتوه ليلة أخرى)، ولم يعين المدة التي بين المجيئين، فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحي إليه، وحينئذ وقع الإسراء والمعراج))، أي: بعد النبوة والوحي. ويجوز أنه يقصد بقوله: (قبل أن يوحى إليه) أي: في شأن الإسراء والمعراج، أي: أنهم فاجَؤُوه بدون سابق إعلام له بذلك[1].

[٣] الحديث الرابع: في صحيح البخاري.

[٤] الحديث الخامس: في مسند الإمام أحمد وهو نفس حديث مسلم المتقدم وهو صحيح على شرط مسلم.

[٥] الحديث السادس: قال ابن كثير: قال: ابن أبي حاتم: ذكر أبو زُرْعَة، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا عيسى بن عبد الله التميمي -يعني: أبا جعفر الرازي- عن الربيع بن أنس البكري، عن أبي العالية أو غيره -شك عيسى- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) فذكر الحديث قلت: "أبوجعفر الرازي" قال فيه الحافظ أبو زرعة: "الرازي يهم في الحديث كثيرًا" وقد ضعفه غيره أيضًا، ووثقه بعضهم، والأظهر أنه سيئ الحفظ ففيما تفرد به نظر. وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتى، أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء، والله أعلم.

فيتضح من هذه الأحاديث وقوع حادثة شق صدر النبي **صلى الله** عليه وسلم مرة أخرى عند إرادة الإسراء والعروج به إلى الملأ الأعلى **وفرض الصلاة**، قال: القرطبي في "المفهم" لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء، **لأن** رواته ثقات مشاهير[2]. فيصير وقوع الحادثة وقوعاً حقيقياً وأنها على الأرجح **مرتين** لصحة

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري تأليف الشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان، ج٢، ص٢٨٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الأحاديث الواردة في بادية بني سعد وحديث الإسراء والمعراج وهو ما أيده العلماء من القدماء مثل ابن دحية وابن المنير كما نقله السيوطي والمعاصرين مثل الشيخ شعيب الأرناؤوط و علماء السيرة مثل المباركفوري وغيرهم. و الملاحظ أنه لم يرد ذكر استخراج العلقة عند شق صدره في أحاديث الإسراء وهذا يدلل على عصمته من الشيطان في صغره وعند مبعثه وإنما الذي تم هو تطهير جوفه وتوسعة صدره ليستعد لرحلة العروج.

المطلب الثالث: الدروس والعبر:

[١] فصل العلق ووصل العلائق: شق صدره - صلى الله عليه وسلم - وإخراج العلقة منه يجعله مهيئاً للاتصال بعوالم أخرى وشهود آخر يحتاج إلى تكوين جديد فلذلك (لم تجر عملية شق الصدر والتطهير عبثاً، وإنما جرت لغاية محددة، وهي تهيئة قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - للاقتدار على تلقي أمر جلل ألا وهو الطور الخاتم من تحقيق الجمع بين العقل و الشرع كما تقرر في الميثاق الأول ولولا حصول هذه العملية الجراحية في باطن هذا المتلقي لما اختير لهذه المهمة العظيمة ولما طاق النهوض بها ومفاد هذا أن كل من يهم بأمر ذي بال فلا بد أن يستعد له بشق أدق وأخفى عضو فيه، ومتى شق هذا العضو وأخرجت منه العلقة فلا يمكن أن يبقى على عكس ما رسخ في الأذهان مجرد محل للعواطف والانفعالات والأهواء بل يصير حتماً محلاً للعقل وتوابعه من المعرفة والتفكر والتذكر فلولا أنه غدا معدن العقل لما استحق أن تنزل به الشريعة الإلهية فهي لا تنزل إلا حيث يتحقق مقتضى الميثاق الأول. وحاصل القول في حادثة شق الصدر أنها تورث أخلاقاً تنبني على تطهير الباطن الموصول بالطور النهائي من أطوار الميثاق)[1].

[٢] التطهر شرط الترقي: دين الإسلام دين الطهارة الحسية والمعنوية فمن أراد الصلاة فلابد أن يتطهر ليرقى إلى مناجاة ربه تعالى والعروج به إلى آفاق أرحب و يرى بعض أهل العلم المناسبة بين شق الصدر والغسل بماء زمزم استعداداً للعروج

(١) سؤال في الأخلاق دكتور طه عبد الرحمن، ص١٦٢ - ١٦٣.

إلى السموات العلى و ملاقاة الملائكة و رؤية الجنة والنار وغيرها مما يقتضي تغيير التكوين الإنساني قال الشيخ محمد الغزالي لقد امتطى البراق ـ وهو كائن يضع خطوه عند أقصى طرفه، كأنه يمشي بسرعة الضوء.. وكلمة "براق" يشير اشتقاقها إلى البرق، أي أن قوة الكهرباء سخرت في هذه الرحلة. لكن الجسم ـ في حالته المعتادة ـ يتعذر عليه التنقل في الأفاق بسرعة البرق الخاطف؟ لابد من إعداد خاص، يحصن أجهزته ومسامه لهذا السفر البعيد. وأحسب أن ما روي عن شق الصدر، وغسل القلب حشوه، إنما هو رمز هذا الإعداد المحتوم، وقصة الإسراء والمعراج مشحونة بهذه الرموز، ذات الدلالة التي تدق على السذج. إن الإسراء والمعراج، وقعا للرسول عليه الصلاة والسلام بشخصه، في طور بلغ الروح فيه قمة الإشراق وخفت فيه كثافة الجسد حتى تفضي من أغلب القوانين التي تحكمه. واستكناه حقيقة هذه الرحلة، وتتبع مراحلها بالوصف الدقيق، مرتبط بإدراك العقل الإنساني لحقيقة المادة والروح، وما أودع الله فيهما من قوى وخصائص[1] و قال الشيخ محمد الغزالي: وشيء واحد هو الذي نستطيع استنتاجه من هذه الآثار، أن بشراً ممتازاً كمحمد لا تدعه العناية غرضاً للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس. فإذا كانت للشر موجات تملأ الآفاق، وكانت هناك قلوب تسرع إلى التقاطها و التأثر بها فقلوب النبيين – بتولي الله لها – لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة و لا تهتز لها، وبذلك يكون جهد المرسلين في متابعة الترقي لا في مقاومة التدلي، وفي تطهير العامة عن المنكر لا في التطهر منه، فقد عافاهم الله من لوثاته[2].

[٣] صدق الحواس والشهود الحقيقي: وشق صدر النبي صلى **الله عليه** وسلم فيه تعريف له بأهم عضو مقبل على إصلاحه في البشرية فنقاء **القلب وتطهيره** من الرذائل وملؤه بالفضائل مما قامت عليه شريعة الإسلام قال تعالى: **{إِلَّا** مَنْ أَتَى اللَّهَ

(١) الإسراء والمعراج طبعة دار النهضة بمصر الطبعة الأولى، ص١١.

(٢) فقه السيرة محمد الغزالي، ص٥٤ – ٥٥.

بقلبٍ سَلِيمٍ}[1]، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2]، وتكرار الشق فيه تهيئة له لملاقاة الملائكة والعالم الأعلى واليقين بأنه نبي حقا حتى يقوم بالدعوة على أكمل وجه وتأكيد على أهمية القلب ونقائه وطهارته.

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شق قلبه مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيماناً وحكمة بدون شق: الزيادة في قوة اليقين لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً، ولذلك وصفه الله بقوله تعالى: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[3]. قال سيد قطب رحمه الله في تفسير سورة النجم: نعيش لحظات في ذلك الأفق الوضيء الطليق المرفرف الذي عاش فيه قلب محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ونرفرف بأجنحة النور المنطلقة إلى ذلك الملأ الأعلى؛ ونستمع إلى الإيقاع الرخي المنساب، في جرس العبارة وفي ظلالها وإيحائها على السواء. نعيش لحظات مع قلب محمد صلى الله عليه وسلم مكشوفة عن الحجب، مزاحة عنه الأستار. يتلقى من الملأ الأعلى. يسمع ويرى، ويحفظ ما وعى. وهي لحظات خص بها ذلك القلب المصفى؛ ولكن الله يمن على عباده، فيصف لهم هذه اللحظات وصفا موحيا مؤثرا. ينقل أصداءها وظلالها وإيحاءها إلى قلوبهم. يصف لهم رحلة هذا القلب المصفى، في رحاب الملأ الأعلى. يصفها لهم خطوة خطوة، ومشهدا مشهدا، وحالة حالة، حتى لكأنهم كانوا شاهديها[4].

وقال سيد قطب رحمه الله: فالأمر إذن – أمر الوحي – أمر عيان مشهود. ورؤية محققة. ويقين جازم. واتصال مباشر. ومعرفة مؤكدة. وصحبة محسوسة. ورحلة واقعية. بكل تفاصيلها ومراجعها.. وعلى هذا اليقين تقوم دعوة ((صاحبكم)) الذي

(١) سورة الشعراء الآية: ٨٩.

(٢) انظر صحيح مسلم.

(٣) سورة النجم الآية: ١٧.

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج٦، ص٣٤٠٥ - ٣٤٠٦.

تنكرون عليه وتكذبونه وتشككون في صدق الوحي إليه. وهو صاحبكم الذي عرفتموه وخبرتموه. وما هو بغريب عنكم فتجهلوه. وربه يصدقه ويقسم على صدقه. ويقص عليكم كيف أوحى إليه. وفي أي الظروف. وعلى يد من وكيف لاقاه. وأين رآه[1]!

المبحث الثالث

شبهات وردود

المطلب الأول: شبهات المستشرقين:

يقول الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه - حياة محمد: لا يطمئن المستشرقون و لا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين ويرونها ضعيفة السند. فالذي رأى الرجلين في رواية كتاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً. وكانت كذلك سن محمد يومئذٍ والروايات تجمع على أن محمداً أقام ببني سعد إلى الخامسة من عمره فلو كان هذا الحادث قد وقع وسنه سنتان ونصف السنة ورجعت حليمة وزوجها إذ ذاك به إلى أمه لكان في الروايتين تناقض غير مقبول. ولذلك يرى بعض الكتاب أنه عاد مع حليمة مرة ثالثة ولا يرضى المستشرق سير وليم موير أن يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء ويذكر أنه إن كانت حليمة وزوجها قد نبها لشيء أصاب الطفل فلعله نوبة عصبية أصابته ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه. ولعل آخرين يقولون: إنه لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته ويرى درمنجم أن هذه القصة لا تستند إلى شيء غير ما يفهم من ظاهر الآية (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) وأن ما يشير القرآن إليه إنما هو عمل روحي بحت والغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصاً ويؤديها مخلصاً تمام الإخلاص محتملاً عبء الرسالة المضني[2]. أما غرابتها وأنها يصعب تصديقها فهي من أمور الغيب وقد صدقنا وسلمنا بما هو أعظم منها ثم إنها في

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج٦، ص٣٤٠٧.

(٢) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل طبعة دار الندوة الجديدة، ص١٠٤.

زماننا هذا والتقدم العلمي وإجراء العمليات الجراحية المتقدمة وعن بعد وبدون جراحة أصبح تصديق هذه الحادثة لمن لا يؤمن بالغيب أمراً ليس مستحيلاً. وقال علي بن نايف الشحود: من الأمور التي وقفت أمام المعترضين على الإسراء والمعراج حادثة شق الصدر التي حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتأمل فيه يجده عملاً طبيعياً لإعداد الرسول صلى الله عليه وسلم لما هو مقبل عليه من أجواء ومواقف جديدة تختلف في طبيعتها عن الطبيعة البشرية. كيف؟ ونحن نفعل مثل هذا الإعداد حينما نسافر من بلد إلى آخر، فيقولون لك: البس ملابس كذا. وخذ حقنة كذا لتساير طبيعة هذا البلد، وتتأقلم معه، فما بالك ومحمد صلى الله عليه وسلم سيلتقي بالملائكة وبجبريل وهم ذوو طبيعة غير طبيعة البشر، وسيلتقي بإخوانه من الأنبياء، وهم في حال الموت، وسيكون قاب قوسين أو أدنى من ربه عز وجل؟ إذن: لا غرابة في أن يحدث له تغيير ما في تكوينه صلى الله عليه وسلم ليستطيع مباشرة هذه المواقف(١).

يذهب أعداء الإسلام من المستشرقين، وأذيالهم من أعداء السنة المطهرة إلى إنكار الشق الحسي لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعض المستشرقين مثل "نيكولسون" يرجعه إلى حالة عصبية كانت تنتابه صلى الله عليه وسلم في فترات متقطعة بينما تجد "موير" يوافقه ويزيد عليه أنها لم تؤثر في شخصيته، معللاً ذلك بحسن تكوينه وسلامة أعضائه، ونجد أن "شبرنجر" يؤيدهما أيضاً ويتلمس مخرجاً لظهور هذه الحالة عنده، فيعللها بأنها موروثة له عن أمه بسبب الرؤيا التي كانت تراها أثناء حمله... وما هي إلا من قبيل الخرافات وهو يقصد أن أمه آمنة كانت مصابة بداء الصرع، يدلنا على وجوده عندها تلك الرؤيا المتكررة لها أثناء حملها له، وليس لها نصيب من الحق، وقد ورث هذا الصرع منها. أما "درمنغم" فإنه يعزو شرح الصدر إلى أمر معنوي يشير إلى مغزى فلسفي نبهت إليه سورة "الشرح" فيقول: "إنها نشأت من قول الله تعالى: (ألم نشرح لك صدرك) وأن هذه العملية أمر

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام للباحث علي بن نايف الشحود، ج٧، ص١٨٩.

باطني قام على تطهير ذلك القلب وتوسيعه ليتلقى رسالة الله عن حسن نية، ويبلغها بإخلاص تام، ويحتمل عبئها الثقيل، وأن أسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفي لما تشير إليه تلك الدرنة السوداء من الخطيئة الأولى التي لم يعف منها غير مريم وعيسى، ولما يدل عليه تطهير القلب من معنى الورع الصوفي"[1]. وقد تأثر بهذا الفكر الاستشراقي أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة من القرآنيين، والرافضة. يقول محمود أبو ريَه مصرحاً بهذا التأثير قائلاً[2]: "من شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات، والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال جلدتسيهر" وفون كريمر وغيرهما، فقد نقلت فيهما من هذه الإسرائيليات والمسيحيات أشياء كثيرة". ويقول طاعناً في حديث شق الصدر قائلاً: "إن حديث شق الصدر يأتي مؤيداً لحديث البخاري: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}"[3]. ويقول: "وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بني آدم أجمعين، حتى الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فانظر وأعجب! ولم يقفوا عند ذلك بل كان من رواياتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينج من نخسة الشيطان إلا بعد أن نفذت الطعنة إلى قلبه، وكان ذلك بعملية جراحية تولتها الملائكة بآلات جراحية مصنوعة من الذهب! ونصت هذه الروايات أن صدره صلوات الله عليه قد شق وأخرجت منه العلقة السوداء! وحظ الشيطان كما يقولون، وكأن هذه العملية لم تنجح فأعيد شق صدره... وإن هذه العملية الجراحية لتشبه من بعض الوجوه عملية صلب

(١) رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء السنة النبوية الشريفة عماد الشربيني ص٢٨٤.
(٢) أضواء على السنة ١٨٤ - ١٨٥.
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٣٦.

السيد المسيح عليه السلام، وإنما ذكروا ذلك لكي يغفر الله خطيئة آدم التي احتملها هو وذريته من بعده إلى يوم القيامة، وأصبحت في أعناقهم جميعاً، وتنص العقيدة المسيحية أنه لا يظفر بهذا الغفران إلا من يؤمن بعقيدة الصلب. ويجاب عن الشبهات السابقة بما يلي:

أولاً: رواية شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة صحيحة رويت في مصادر عدة بطرق صحيحة لا يسع العقل المدرك إنكارها.

ثانياً: المستشرقون ومن تابعهم في إنكارهم لشق الصدر لا يستندون إلى علم أو منطق سليم. وإليك التفصيل.أما مستند إنكار "موير" و"نيكولسون" و"شبرنجر" فيكمن في: أن ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان ضرباً من نوبات الصرع التي كانت تعاوده بين الحين والحين، وهو ما زعموه أيضاً في حالات نزول الوحي عليه بهدف إنكار نبوته! لكن المتأمل في معجزة شق الصدر يجد أن هناك بوناً شاسعاً بينه وبين الصرع، فإن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها، ذلك أن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل.هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ليصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كانت تنتبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به، وكان يذكر كل ما يطرأ عليه بدقة فائقة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن كيفية إتيانه الوحي قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَ، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال هذا بالإضافة إلى أن قصة شق صدره الشريف تحدث بها الأطفال الذين كانوا في صحبته إبان حدوثها، ومن البعيد، بل ومن المستحيل أن يتفق الأطفال على اختراع حادثة لا أساس لها، وذلك لطهرهم وصفاء سريرتهم ونقائها على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث بها أيضاً بعد الرسالة على ما جاء في رواية مسلم عن أنس بن مالك، وتصريحه بأنه كان يرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم!. وكذلك جاء التصريح بقصة شق الصدر صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء في رواية

عبد الله بن أحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه، وكذلك جاء التصريح بالشق ليلة الإسراء والمعراج على ما جاء في الصحيحين عن أبى ذر رضي الله عنه. أما ما زعمه "موير" من عدم تأثير النوبة فيه لحسن تكوينه فإنه دس خبيث، وطعن مردود، مؤداه إنكار شق صدره لإنكار نبوته، متذرعاً بما هو مقرر عند المسلمين من كمال هيئته وحسن تكوينه صلى الله عليه وسلم، وليس في الروايات ما يساعد على زعمه وافتراءاته إذ كيف يجتمع حسن التكوين، وحدوث الصرع؟ إنها قضية من المضحكات المبكيات على عقله الكليل المتناقض!. وأما ما زعمه "شبرنجر" من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له حالات عصبية تنتابه، وأنه ورثها عن أمه بسبب الرؤيا التى كانت تراها أثناء حمله، وما هي إلا من قبيل الخرافات! يكذبه ما سبق من أن أعراض الصرع ما كان ليصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيئاً.... وحمله سبب الصرع، على رؤيا آمنة يكذبه أيضاً ما ثبت في الصحيح من تأكيده صلى الله عليه وسلم لرؤيا أمه، في قوله صلى الله عليه وسلم: "إني عبد الله وخاتم النبيين وأبى منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين..."[1].

المطلب الثاني: دعوى ضعف السند والاضطراب:

أما ضعف السند فقد اعتمد المضعفون على روايات السيرة ولم يلتفتوا إلى الروايات الصحيحة فقد وردت هذه الحادثة بروايات صحيحة كما أسلفنا في صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي ومسند أحمد وغيرها فلا مجال للطعن فيها من جانب السند كما شهد بذلك علماء الحديث.

وأما دعوى الاضطراب فقد وردت في كتاب الإمام أبو زهرة، قال الألباني - عند ذكر حديث أنس بن مالك في صحيح مسلم السابق: وهذا الحديث مع صحته وصحة شواهده – التي قبلها وغيرها مما أشرت إليه في (تخريج فقه السيرة) صـ - ٦٤ فقد شكك في ثبوتها الشيخ

(١) رد شبهات حول عصمة النبي، الشربيني٢٨٩.

(أبو زهرة)؛ مع إنه ذكر حديث مسلم هذا ثم قال (١٢٧/١): (ونحن نرى أن الأخبار بالنسبة للشق لا تخلو من اضطراب، و فرض أنها صحيحة لا نقول: إنها غير مقبولة (!) بل إنا نقبلها إن صحت، ولكن الاضطراب في خبرها يجعلنا غير رادين ولا مصدقين)!

أقول: بمثل هذه الفلسفة المتناقضة يرد هذا الشيخ هذه الأحاديث الصحيحة، ويتلاعب بالألفاظ ليضل به الناس عما يوسوس إليه الخناس، فإن أقل الناس علما وعقلا يعلم أنه إن صح الاضطراب الذي أدعاه فيها لزم منه أنه غير مقبول؛ لأن الحديث المضطرب عند العلماء ليس مقبولاً، وإذا كان الأمر كذلك لزم ردها، فكيف يقول: إن الاضطراب يجعلنا نقف غير رادين ولا مصدقين ألا ترى أنك إن قدمت إلى رجل مالاً فلم يأخذ ؛فسواء قلت عنه: لم يقبله، أو: رده. فالمعنى واحد لا يخفى علي أحدٍ، فكيف يمكن أن يخفي علي (الإمام محمد أبو زهرة)؟![1].

والحقيقة أن أحاديث شق الصدر الشريف صحيحة، لا يشك فيها إلا ضعفاء الإيمان، أو من لا إيمان عندهم من الدهريين وغيرهم، وأن الاضطراب المزعوم فيها لا حقيقة له إلا مجرد الدعوى؛ لتسليك ردها على القراء من حضرة (الإمام)!

المطلب الثالث: دعوى الرمزية:

جاء في فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي تعليقاً على حادثة شق الصدر: (لو كان الشر إفراز غدة في الجسم ينحسم بانحسامها أو لو كان الخير مادة يزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود فنستطيع السمو والتحليق ... لقلنا إن الظواهر الآثار مقصودة)[2].

قال الدكتور سلمان العودة: يأتي تأويل الشيخ لشق الصدر -شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم- والذي ثبت مرتين كما في السنة النبوية الصحيحة يعني أن الملك استخرج علقة من قلب النبي صلى الله عليه وسلم فيؤول شق الصدر تأويلاً سبق إليه

(١) صحيح السيرة النبوية ١٨ - ١٩.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي مراجعة وتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبعة دار الدعوة ص٥٥.

بطبيعة الحال الشيخ "محمد رشيد رضا" غفر الله للجميع، ويدخل العقل في هذه القضايا الغيبية التي صرح هو بأنه لا مدخل للعقل فيها، ولا داعي للخلاف حولها[1].

قال ابن حجر: وهذا الذي ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له، ولا يصرف عنه حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك. قلت: (أي السيوطي) والأمر كذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره الشريف، وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلب الحقائق الممتنع، فهو جهل صريح، وخطأ قبيح، نشأ من خذلان الله تعالى لهم، وعكوفهم على العلوم الفلسفية وعدم إحاطتهم بالقدرة الربانية، وبعدهم عن دقائق السنة، عافانا الله من ذلك[2].

الخاتمة:

يتضح لنا من هذا البحث أن حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم هي حادثة حقيقية وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم بدلالة الأحاديث الصحيحة الواردة في الحادثة وأنها حصلت مرتين وأن من تولى هذه الحادثة هم ملائكة أطهار وأنها عملية حقيقية ليست على سبيل المجاز أو الرمز ولا نوبة من نوبات الصرع كما ادعى المستشرقون وأنما هي عملية حقيقية ذات أهداف ومرام سامية وأن هذه العلقة هي مخلوقة في نفس كل إنسان وأنها حظ الشيطان منه ولا تنزع إلا في الآخرة لأهل الجنة كما جاء في القرآن الكريم ويتضح لنا من هذا البحث كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رعته عناية الله تعالى منذ صغره فحفظ من وسوسة الشيطان ومن عبادة الأوثان ومن الباطل الذي كان فيه قومه حتى جاءه الوحي فكان خيراً على خير وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على أكمل الخلق وقد مدحه الله تعالى وأمر بالتأسي به لذلك تحتاج السيرة عموما إلى دراسة وتأمل وتنزيل على واقعنا بحسب مراحله المختلفة وتعريف غيرنا بهذه السيرة وهذه الأخلاق التي أصبح العالم في أشد

(١) كتاب حوار هادئ مع الشيخ محمد الغزالي.

(٢) سورة النجم الآية: ١٧.

الحاجة إليها ولكن بعد أن نتخلق بها ونتحلى بقلائدها ونكون دلالة حقيقية على خيرية ديننا بصدق الأتباع وفاضل الأخلاق.

ويجب أن تقوم البحوث والدراسات للكشف عن علاقة القلب بالحواس وعلاقته بالتفكير لنتخلص من التبعية ونخلص وننقي بعض الأفكار الدخيلة على ثقافتنا الدينية من الفلسفة اليونانية القديمة والهرمسية وآثار الحضارة الغربية التي جعلت من القلب مضخة للدم لا غير، وجعلت الدماغ هو موضع التفكير، وأقامت من الدراسات الشيء الكثير، ولكن بعد طول بحث وعناء اتضح لها جلياً أنها تبحث عن وهم قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإنس لهُمْ قُلوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا}(١) و قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلوبٌ يَعْقِلونَ بِهَا}(٢). اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

المراجع

* القرآن الكريم:

[١] جامع البيان عن تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري تحقيق د/ عبد الله التركي طبعة دار عالم الكتب.

[٢] تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير الدمشقي تحقيق، د/ محمد إبراهيم البنا طبعة دار ابن حزم.

[٣] التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور الطبعة التونسية دار سحنون للطباعة والنشر تونس ١٩٩٧م.

[٤] تفسير في ظلال القرآن سيد قطب طبعة دار الشروق الطبعة الشرعية العاشرة ١٤١٠هـ.

[٥] صحيح البخاري، طبعة مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى.

[٦] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، طبعة دار ابن حزم.

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

(٢) سورة الحج الآية: ٤٦.

[٧] مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.
[٨] صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف ١٤٢٨هـ.
[٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف ١٤١٥هـ.
[١٠] فتح الباري، شرح صحيح البخاري، طبعة دار السلام – الرياض ١٤٢١هـ.
[١١] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري تأليف الشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان.
[١٢] المنهاج شرح مسلم، الإمام يحيى بن زكريا النووي، طبعة مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
[١٣] السيرة النبوية لابن هشام، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي.
[١٤] فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، مراجعة وتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة دار الدعوة.
[١٥] حياة محمد الدكتور محمد حسين هيكل، طبعة دار الندوة الجديدة.
[١٦] الرحيق المختوم: لصفي الدين المباركفوري، طبعة أولى النهى للإنتاج الإعلامي ١٤٢٢هـ.
[١٧] الإسراء والمعراج لجلال الدين السيوطي يتخريج أبي عبد الله القاضي، طبعة دار الحديث القاهرة ١٤٠٩هـ.
[١٨] الإسراء والمعراج: للشيخ محمد الغزالي، طبعة دار النهضة مصر.
[١٩] سؤال في الأخلاق للدكتور طه عبد الرحمن: طبعة المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.
[٢٠] رد شبهات حول عصمة النبي: تأليف عماد محمد الشربيني.
[٢١] المفصل في الرد على أعداء الإسلام تأليف الباحث: نايف الشحود.
[٢٢] حوار هادئ مع الشيخ الغزالي، د/ سلمان بن فهد العودة طبعة أولى ١٤٠٩هـ.
دلائل النبوة: لأبي نعيم الأصبهاني.

[٢٣] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني تحقيق محمد بن ربيع المدخلي دار الراية.
[٢٤] مجلة الإعجاز العلمي العدد٤١ شعبان ١٤٣٣هـ.
[٢٥] الخصائص الكبرى للسيوطي.